

أحسن وأفضل من شعر غيره، فظهرت الخصومات بينهما. وكان لهذه المنازعات فضل كبير في خلق دراسات قيمة، سواء عن الشعر القديم أم عن الشعر المحدث. وهذه الدراسات كانت سبباً في ظهور الشروح الشعرية، إذ كان على المتعصب للقديم أن يشرح للجمهور ما يعتد به، حتى يقربه إليه، وكان على المتعصب للمحدث، أن يشرح ويوضح المعنى الجديد للشعر، وما مميزاته، حتى يدنو من الجمهور. و"الواقع أن إعجاب القدماء أنفسهم بالشعر ينبغي أن يكون باعثاً على معاودة الفهم - لقد أعجبوا بشعر كثير عجزوا عن تفسيره. وجاء المحدثون فنقضوا أذواق القدماء، واستقبحوا كثيراً مما أعجب المتقدمين (44). ومن نشأ الصراع بين الفريقين وتولدت عنه كتب في الشرح والتفسير والنقد.

7 - تذوق الشعر والاستمتاع به:

لعل المتعة الفنية سابع الأسباب التي أدت إلى نشأة الشروح، إذ أن المهتمين بهذا الجانب وجدوا متعة فنية في الاهتمام بهذا المجال الخصب. وانسياقاً وراء المتعة التي وجدوها في الدراسات الدينية لأن "الأساس الذي قامت عليه الدراسة الأدبية والبلاغية هو دراسة القرآن في تعبيراته البلاغية ومقارنتها بأساليب البلغاء.."(45)

"ومن طبيعة الأمور أن تنمو تلك النظرات وتتطور هذه الملاحظات إلى دراسات من القرآن وغير القرآن، فلم تعد الغاية الدينية وحدها هي مبعث كل بحث ودراسة بل أصبحت المتعة الفنية في التعبيرات الإنسانية ميداناً تخوض فيه بحوث هؤلاء الدارسين، واستتبع ذلك دراسة الألفاظ من حيث هي ومن حيث دلالاتها على المعاني، وما اشتملت عليه من أفكار..."(46).

لقد وجد الشارح - فيما يبدو - متعة فنية في القيام بعمله، ولا ننسى غايته من وراء الشرح، والتي كانت في أغلب الأحيان محاولة منه للخوض في معاني الشعر، ثم تقريب هذه المعاني إلى ذهن المستمع أو القارئ، وهو في عمله هذا، كان يصدر أحكاماً تتبع من مفهومه الخاص للشعر، وبمعنى آخر، كان في أثناء شرحه، يقوم بدراسة هذا الشعر بناء على موقف سابق له منه. وكان مثل هذه الدراسة ينبع من رافدين:

1 - الذوق الفطري: وهو عنصر أساس من عناصر تقويم أي فن إنساني، إذ "يجد السامع أو القارئ في بعض الأساليب من رنين